

# غادة شبير توجه تحية «عاطرة» الى سيد درويش

نادراً ما يتسنى لمغن أو مغنية أن يجمعا بين الاختصاص الموسيقي الأكاديمي والغناء، بين الخبرة العلمية والموهبة في الصوت والأداء، بين الذاكرة التراثية الأصيلة والإبداع. غادة شبير المغنية والملحنة والباحثة الأكاديمية في حقل الموسيقى والغناء جمعت بين هذه المقومات ولم تدع ناحية تغلب على ناحية. غناؤها البديع الطالع من عمق الإحساس بالموسيقى والشعر هو في آن واحد شديد الإتقان، مشغول بوعي ومعرفة. صوت بهي وساحر، شرقي بامتياز، يحمل في ثناياه أعماق الأهات وأجمل التعرجات، صوت صاف ونقي قد لا يحتاج في أحيان الى الموسيقى نظراً الى قوته ولطافته. وهذا ما قامت به غادة شبير في حفلات كثيرة. أما الأداء فسلم وجميل، إحساساً وتعبيراً. مخارج الحروف مضبوطة تماماً والنفس يهب من الأعماق وليس فقط من الحجرية.

العالم الفائت حازت المغنية اللبنانية الشابة غادة شبير جائزتين عالميتين لأفضل أداء وأفضل عمل من

«هيئة الإذاعة البريطانية» عن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. هاتان الجائزتان اللتان منحتهما شهرة عالمية حصرتهما اسطواناتها (سي. دي) التي تحمل عنوان «موشحات»، والموشحات هي ميدان اختصاصها، تاريخاً وبحثاً وتلحيناً وغناء. وقد أصدرت كتابين هما «الموشح بين القديم والمعاصر» و «موشحات وادوار سيد درويش». وانطلاقاً من هذه الخبرة استطاعت أن تحيي هذا الفن العريق محافظة على أصالته ومطورة أو محدثة إياه حتى لبدا معها وكأنه لون معاصر ما برح قادراً على مخاطبة الأذواق الراهنة والعصرية، وكانت في العام ١٩٩٧ فازت بجائزة الأغنية العربية في مصر، في مسابقة أفضل أغنية عربية. «على رغم قلة انتاجها الذي تشاءه مدروساً وهدائماً فهي أحييت حفلات كثيرة كانت يوماً تغاجس الجمهور خلالها في العالم العربي وأوروبا وكندا وأوروبا الشرقية.

جديد غادة شبير اسطوانة «قوالب» (سي. دي) التي شاعتها تحية الى الموسيقار المصري الكبير

سيد درويش وهي تعتبره «موسيقار القرن العشرين بلا منازع» و «صلة وصل بين الغناء العربي القديم والمعاصر»، كما تقول في الشريط الوثائقي (دي. في. دي) المرفق بالاسطوانة. انها تحية عاطرة جداً الى هذا الموسيقار المصري الرائد الذي رحل على مشارف الثلاثين من عمره في أوج عطائه. تحية تثبت قدرة أبحانه على العيش والاستمرار والتجدد. وقد اختارت شبير من «ريبرتوار» سيد درويش قوالب عدة مثل الموشح (النسك الشعري الأندلسي العريق) والدور (القالب الغنائي المصري الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر) والطقوفة (ظهرت في آخر القرن التاسع عشر).

وقد أبدع درويش في هذه القوالب إضافة الى «الديابوغ» وجدد في بنية الجملة اللحنية من غير أن يمس بخصائصها، جامعاً بين المتانة في تركيب النغم وجمال السبك والتنسيق، كما تعبّر غادة في كراس الاسطوانة، مضيفة: «فتح سيد درويش الطريق أمام كل من أتوا بعده، فاستفادوا من عبقريته وموهبته».

إذا لم تلجا غادة شبير الى سيد درويش لتغني أبحانه فقط بل أرادت أن تكون الاسطوانة مشروعاً غنائياً وتجربة تهدف الى إحياء تراث هذا الموسيقار الكبير. فهي تعلم جيداً ماذا تريد منه وكيف تغني له وما معنى أن تعيد غناء أبحانه. هكذا راحت تضيء على تلك الأبحان لمسآتها الخاصة، بالصوت الدافئ والعذب والأهات الشفيفة والتعرجات، بالأداء المشبع بالإتقان والارتجال والأنسياب والإحساس المرهف. اختارت غادة ثلاثة موشحات هي: «طف يا دري» و «منيته عز اصطباري» و «حبر الأفكار»، ودورين هما: «أنا هويت» و «أنا عشقت» وثلاث طقاطيق: «يا ناس أنا مت في حبي» و «يا عشاق النبي» و «شد الحزام». وارفقت هذه القوالب بموال لحنته هي بنفسها وعنوانه «موال ولادة» وهو ارتجال من مقام «راحة الأرواح» - كما تقول - والشعر من ابن زيدون وولادة بنت المستكفي. ومن يستمع الى الأغاني يشعر بالاختلاف بين القوالب والأبحان وقد نجحت غادة في التنوع والانتقال من جو الى آخر، ببراعة وسلاسة، براعة الأداء وسلاسة الصوت.

انها أجمل تحية تُرفع الى الموسيقار الكبير سيد درويش، تحية تعيده الى الجمهور عبر صوت بديع بات يحتل مرتبته الخاصة في عالم الغناء. ولعلها مغامرة حقيقية تقوم بها هذه المغنية الآتية من الاختصاص الأكاديمي في مرحلة من الانحطاط الغنائي و «الفلتان» الموسيقي اللذين أساء كثيراً الى الأغنية العربية والذاكرة العامة.

